

فهو يقهر الأعداء ويشترى الحمد بالمكارم والعطايا . وكذلك يمدح الحجاج
وخلد بن عبد الله القسري ، يشكرهما على النعمة ويدعوهما إلى إنقاذه مما هو فيه
من ضنك في العيش وحاجة إلى المال .

وجريير ، مدح القواد والأمراء فأثنى على كرمهم وشجاعتهم وتكسب
بمديحه ، واتبع الأساليب العربية القديمة فيه ، فجعل الحجاج أئقب الناس
شهاباً ، وهدد به الأعداء ، فقال :

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رَأَى الْحَجَّاجَ أَثَقَبَهَا شِهَابًا
تَرَى نَصْرَ الْإِمَامِ عَلَيْكَ حَقًّا إِذَا لَبَسُوا بَدِينَهُمْ ارْتِيَابًا
ثم قال إنه ماض على الغمرات ، منع الرثشا وأرى الناس سبيل الهدى ، ونكّل
باللصوص وشق من الفتن :

مَنْ سَدَّ مُطَّلِعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ « الْحَجَّاجِ » ؟
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيفَةً إِذْ لَا يَثْقَنُ بَغِيرَةَ الْأَزْوَاجِ ؟

وهذه أخلاق عربية ولدت مع هذه الأمة ، وظلت مثلاً أعلى لكل شاعر
عربي يرى في الكرم والسخاء والشجاعة والبطولة وحماية الجار والغيرة على النساء
والحفاظ على الأعراض ومنع الرشوة والفساد والتنكيل باللصوص وإشاعة العدل
والخير ، ما يمدح له الرجل ويثنى عليه ويشاد بفضله . ولذلك لم يتعد المديح
في أغراضه هذه الصفات خلال العصر الأموي كله ، والعرب سادة في الحكم ،
وقادة في الجيش ، وحكام في الولايات والمقاطعات ، يمدون أعناقهم إلى ماضيهم
في الإباء والنخوة والحمية فيستحون أن يكونوا على غير ما كان عليه آباؤهم
وأجدادهم ؛ ويرى المداحون في الإبقاء على هذا الخلق العربي والتحلي بصفاته
مادة للمديح وواسطة للحمد والثناء .